بين السحاب والتراب!

لـو كنتُ طيـراً طائراً.. في الجوّ يعتنقُ السـحابْ
لـوَددتُ أنّـي كنـتُ صـقراً، عاليـاً فـوق الشِّعـابْ
يغفـو على صـخب الريـاح، و روحـه روح الشبـابْ
فـي عينـه دمـعٌ يرقـرق، ثـم يأبـى الانسـكابْ
فـي جوفـه قلـبٌ حنـونٌ دافـئٌ دفء التـرابْ
حُـرٌّ يطيـر متـى يشـاءُ، وسـعيه قهـر الصعـابْ
لـو أنّ عينـي أبصـرتْ كعيـون صـقرٍ أو عُقـابْ
لرأيـتُ مـا هو واقـعٌ، وانزاح عن بصـري الحجابْ
الأرضُ، يـا للأرضِ ! إنّ الأرضَ، أرضٌ للعَذابْ
فـي كُـلّ بيـتٍ مُقلَـة تبكـي وأفئـدةٌ تُـذابْ
فـي كُلّ حقـلٍ موضـعٌ يُـروى بدمـعٍ ذي انسـكابْ
وعلـى رُبـى الأوطـان، تبـدو قلعـةٌ وَسْـط اليَبَابْ
سـوداءُ تنعـق حولهـا الغربـانُ شـؤماً بالتّبـابْ
قـد شُـيّدتْ أسـوارها فـوق الجماجـم والخـرابْ
فـي حضـنها القاسـي شـيوخٌ، بـل ورودٌ، بل شـبابْ

وعلى المقاعِد، ثُلّةٌ من كُلّ ذي ضرس ونابْ
يتضاحكون، ويصخبون، وحولَهم حُجُبُ الضبابْ
في كفّهم – تلك العريقةِ في المجازر والضِّرابْ-
سيفٌ، وفي الأخرى موازين أقيمت للحسابْ
ميزانهم يرضى مساواة النُّخالةِ باللُّبابْ
من جِلْد كُلّ الشعب، هم صاغوا لأنفسهم ثيابْ
مِنْ دمع مَنْ قهراً بكى، صنعوا لسيّدهم شرابْ
هم قدّموه إليه يشربه، كنخبٍ للغلابْ
والشعب يغرق في الظلام، وليس للفجر اقترابْ
لو أنّ حُلْمي صار حقاً، لاستبدّ بيَ العذابْ
ولَحلّقتْ روحي لأرضي، لا إلى نيل السحابْ
ولَرَاع صمتَ مدينتي، خفقُ الفؤادِ والاضطرابْ
إنّي أتوق لأن أموتَ، وأن تُمزقَني الحرابْ
أن تطفئ الظلماتُ نوراً، كان في عيني ارتقابْ
لو كان موتي للإله، على ثرى ذاك الترابْ